طبابة الأسنان عند العرب وأول طبيب أسنان سوري

طبابة الأسنان Dentistry: كانت طبابة الأسنان والفم من بين المهن التي مارسها الإنسان القديم في شبه الجزيرة العربية وخارجها، شأنها شأن الطب عامّة، فدرس البابليون والآشوريون التشريح عند الإنسان والحيوان، وكان أطباؤهم مقسمين إلى ثلاث فئات: فئة تعالج بالنصح، وأخرى بالأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية، وفئة ثالثة تداوي بالطلاسم. ووصل الآشوريون والفرس إلى درجة راقية في معالجة الفم والأسنان.

وبرع الفراعنة في ممارسة الطب ومعالجة الأسنان، فوجد بينهم الكحّال (طبيب العيون) والجرّاح والمختصّ بالرأس والفم والأسنان، ويبدوا ذلك واضحاً في محنّطاتهم وهياكل عظام الفكّين التي ظهرت في قبورهم وفيها أسنان ذهبيّة، وكان لطب الأسنان عندهم آلهة تدعى (آبولونيا) وهي ابنة قاض مصري. وأظهرت المكتشفات الأثرية الحديثة في مصر وصفات علاجية للأسنان مكتوبة على ورق البردي.

كذلك مارس الأطباء في الهند والصين وفارس طبابة الأسنان، ومارسها أيضاً اليونان والرومان، فدرس كلوديوس غالين (١٣٠ – ٢١٨م) تشريح الأسنان وكان أول من وصف عصب السنّ وصفاً دقيقاً وتحدّث عنه بالتفصيل.

أمّا عند العرب في الجاهلية فلم يكن أكثر من ممارسات وتجارب قاصرة، ووصفات متوارثة، وتمائم وطلاسم وسحر، حتى أنهم كانوا يوصون إذا سقطت لغلام سنّ لبني من أسنانه أن يأخذها بين السبّابة والإبهام ويستقبل الشمس إذا طلعت ويقذف بها منادياً: "يا شمس، ابدليني بسنّ أحسن منها" وكانوا يزعمون أنه إن لم يفعل ذلك ربما نبتت السنّ الدائمة مشوّشة أو غير صحيحة. ولا زالت هذه المقولة شائعة منذ العصر الجاهلي حتى أيامنا، ولا زال الناس يمالحون أطفالهم بها كلما سقطت لهم سنّ مؤقّتة ويطلبون منه أن يتوجّه إلى القمر ويقول: "خذّ سِنّ الحمار واعطني سِنّ الغزال".

ولم يكن الحال في أوروبا في العصور القديمة بأفضل مما كان عليه عند العرب في الجاهلية، إذ كانوا يصفون المضمضة ببول الخيل دواءاً لتسكين آلام الأسنان.

وبعد ظهور الإسلام وإنشاء المدارس الطبّية والبيمارستانات في معظم المدن، تركّز الاهتمام بطب الأسنان دراسة وممارسة، لكنه لم يكن اختصاصاً قائماً بذاته كما نشهده اليوم، بل مارسه الأطباء الممارسون للطب عموماً، خصوصاً وأن الفم جزء من الجسم.

وكان من أوائل الأطباء العرب المسلمين الذين بحثوا في مجالات طبابة الأسنان أبو بكر الرازي (محمد بن زكريا الرازي ٢٥١ - ٣١٣ هـ) الذي تحدث عن تطوّر عظام الفكين وتشريحهما وأمراضهما.

تلاه الطبيب الرئيس ابن سينا (الحسين بن عبد الله ٣٧٠ - ٤٢٨ ه) الذي تعمّق ليس بالطب عموماً بل بطب الأسنان أيضاً.

غير أن أول من صمّم أدوات هذا الطب ورسمها كان الجرّاح الطبيب الأندلسي (أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المتوفى ٤٢٧ هـ)، فقد ترك لنا رسومات لآلات جراحية فموية ظلت أوروبا تعتمد عليها قروناً طويلة، كذلك تحدّث عن خلع المفصل الفكي الصدغي، وكسور الفكّين، وسرطان اللسان، والورم الضفدعي، وشفة الأرنب، واحتقان اللهاة، وخصّص في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" فصلاً خاصّاً بحث فيه عن آفات الأسنان وما يعرض لها من عفونات، كذلك نصح فيه الأطباء بعلاج آفات الأسنان معالجة دوائية، فإذا لم ينجح ذلك تمّ اللجوء إلى الجراحة.

ومن الأدوات التي قام بتصميمها لجراحة الفكّين: (الرافعة أو المخل أو العتلة Elevator) وهي أداة لقلع الأسنان لا زالت معتمدة في أيامنا، و(كلاّبة القلع) وهي علوية مستقيمة وسفلية معوجّه، و(ذات الشعبتين) وتستعمل لاخراج بقايا السن، و(رمّانة) وهي مبخرة لتكميد اللهاة، و(صنّارة) مثلّثة الطرف لقلع بقايا السن وجرد الأسنان، و(كلاّب) لخلع الأضراس والأسنان المتحرّكة، و(مِجْرَد) لتقليح

الأسنان، و(منشار) لنشر الضرس النابت خلف ضرس آخر أو ملتصق به، إلى جانب عدد كبير من الأدوات الأخرى كالإبرة العازلة، والكاوي، والملاقط والمبعّدات والمشرط، والمحقنة مع المدكّ.

واشتهر من الأطباء العرب الممارسين لطب الأسنان في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد يحيى بن عيسى المعروف بابن جَزْلة "توفى ٤٧٣هـ" الذي وضع كتاب (تقويم الأبدان) وزوّده بجداول وصف فيها أسباب أمراض الأسنان وأعراضها وتشخيصها ومسبّباتها وطرق معالجتها عند الأطفال والصبية والشباب والكهول والشيوخ.

وانتشرت في عصور الانحطاط ظاهرة (الدجل الطبّي)، وأضحى الحلاّقون هم أطباء الأسنان، واشتهروا بالقلع على وجه التحديد، بينما مارس آخرون تركيب الأسنان الاصطناعية دون دراسة أو مؤهّل. والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة لم تقتصر على العالم الإسلامي وحده، بل انتشرت وما زالت منتشرة في كافّة البلدان.

وعثرت بين أوراقي على وثيقة تلقي الضوء على أول طبيب أسنان سوري درس هذا الفن بشكل أكاديمي بالولايات المتّحدة الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر، وتحديداً عام ١٨٨٨م. جاء في نصّ هذه الوثيقة ما يلي:

أول طبيب أسنان في سورية وصاحب التعليم الوطني هو محمد صالح بن عثمان بك موسى باشا الملقّب بالدرويش الأصلي

إن اسمي الذي أعرفه وفُطرت عليه هو محمد صالح بن عثمان بك، وفي سن العشرين من عمري دخلت إلى الطريقة المولويّة[١] فسمّتني الناس بالدرويش الأصلي، وكانت صنعتي ساعاتي وكنت أشتغل أسنان على الفضة والنحاس[٢] وتعلمت هذه الصنعة من طبيب أسنان أتى إلى الشام وأخذ عيادة في جوار دكاني في سوق الحرير وفي زمن ولاية مدحت باشا[٣] تشاركت مع السيد أبو خليل القبّاني[٤] وأسّسنا أول مسرح للتمثيل في دمشق في قهوة العصرونية[٥] ولمّا قامت العلماء على أبو خليل القبّاني بعد ذهاب مدحت باشا من الشام وأغلق المسرح ذهبنا معه إلى مصر وأسسنا مسرح في مصر.

وكنت أبحث عن مدرسة أو أستاذ لطب الأسنان فلم أجد، ثم ذهبت إلى الأستانة[٦] فرجعت بالخيبة، وفي سنة ١٨٨٨م قصدت بلاد أميركا بلاد العلوم والفنون ومنها إلى شيكاغو فدخلت في أحد كلّيتها ورأينا رأي العين ما هنالك من المستحدثات العجيبة فانتظمنا في سلك الطلبة وصرفنا عامين متواليين نتابع الجد والسهر ليلاً نهاراً حتى أتمّ الله نعمته علينا وطبقنا العلم على العمل وحزنا على النشان[٧] الصناعي المذهّب من معرض أميركا.

ثم قصدت باريز بلاد العجايب والمدهشات وعملنا سياحة في أغلب عواصم أوروبا، ثم قصدت وطني العزيز وأسّست محل في سوق الحرير[٨] لطب الأسنان تحت اسم (محمد صالح وولده حلمي) وذلك سنة ١٨٩١، فعلَّمنا إبراهيم أفندي صبري، وهو علَّم أخيه محمود أفندي صبري، ثم علَّمنا ولدنا الثاني محمد فارس الذي كان ماسك محلي الذي أتعاطا به صنعة الساعات، ثم وضعت عندي محمد أفندي حمّودة".

(حلمي يتكلم)[٩]: وفي سنة ١٩١٠ توفي المرحوم والدي فثابرت على فكرته بنشر ذلك العلم، فأخذت طابقاً علوياً مقابل سوق القيشاني[١٠] وتركت محل والدي إلى محمد أفندي حمّودة، فوضعت عندي حمدي أفندي الحجّار ثم لطفي أفندي عزيزية ونسيبنا فهمي أفندي المالح وعبده أفندي الطويل، وكلهم دخلوا شعبة طب الأسنان[١١] وحازوا على شهادات قانونية. ثم علمنا فؤاد أفندي صبري وبشير أفندي الأصيل، وهم يشتغلون بدون إجازة تحت اسم مستعار.

نرجو الله أن يوفّقنا جميعاً لخدمة الوطن العزيز، وعلى الله الاتكال.

حرره محمد صبحي البيلاني سنة ١٣٥٥هـ

محمد صالح الملقّب بالدرويش الأصلي

بلباس المولوية وعلى صدره وسامان.

ترجمة محمد صالح بن عثمان موسى باشا

هو محمد صالح بن عثمان بك بن حمزة بن موسى باشا الملقّب بالدرويش الأصلي، ولد عام ١٨٣٤م، وأصل الأسرة من الأندلس، فقد التحق أحد الأجداد من سكان المدينة المنوّرة بحملة الأندلس العربية واستوطن فيها وأنجب أولاداً منهم "موسى باشا" وهو الجدّ الرابع للمترجم له، وجاء مع المرحوم محمد باشا العظم إلى معرّة النعمان فدمشق، وعيّن محمد باشا أميراً للحجّ وموسى باشا أميراً للجردة، واستوطن في حي القنوات (الشابكلية) بدمشق، وفي سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦ - ١٧٥٧م سافر موسى باشا أمير الجردة مع قافلة الحجّاج وعند وصول القافلة إلى قرية (داعل) من أعمال حوران اشتبك مع العربان الذين تصدوا لسلب القافلة فاستشهد على أثرها وجيء بجثمانه فدُفن في (ذي الخمار)[١٢] القرية المعروفة بدمشق، وكانت الأسر في القديم تتكنّى بأسماء الآباء والأجداد.

تلقى محمد صالح علومه الدينية عن علماء عصره من آل الاسطواني والخاني، فكان عالماً فاضلاً وشاعراً مجيداً، لكن آثاره الأدبية ضاعت بسبب الإهمال وعدم التقدير.

وكان محمد صالح ذا صوت جميل فاتصل بالفنانين وتلقى عنهم علم النغمة والأوزان والموشّحات، ثم صار له ولع خاص بإقامة الأذكار والمدائح النبوية والقصائد والموشّحات الصوفية، وكان ماهراً في الضرب على النقرزان (النقّارات)[١٣] والرقّ [١٤] ويجتمع في داره الواسعة الواقعة في دار المحتسب أهلُ الذكْر من الطرق الصوفية المختلفة كالرشيدي والشاذلي والقادري والمولوي، وكانت داره هذه ملتقى الفنانين والخلان، كما كانت له مكانة مرموقة في حلقة الذاكرين، ينشد بصوت رخيم النشيد الفارسي المأثور عند قيام الدراويش في الحلقة.

وتوطدت العلاقة الحميمية بينه وبين (أبو خليل القبّاني) رائد المسرح السوري، فعمل في فرقة القبّاني للتمثيل، وكانت مهمته تهيئة الألبسة للممثلين وتلوين المسرح بالألوان الطبيعية الملائمة لفصول الرواية، وإخراج مناظر الأمطار والزوابع والرعود والثلوج وأصوات الحيوانات على اسطوانات مستديرة وتلقينها للممثلين وتعويدهم على إخراجها بالشكل الملائم، كما كان يشترك في تمثيل الأدوار الهامّة وفي التلحين وتهيئة كتاب التلقين للممثلين، ثم سافر مع فرقة أبي خليل القبّاني إلى مصر.

ولمّا دُعي القبّاني لزيارة معرض (شيكاغو) في أمريكا، كان محمد صالح من جملة الممثلين البارزين الذين رافقوه إلى الولايات المتحدة، وقد مكث هناك ستة أشهر درس خلالها طب الأسنان، وتحديداً عام ١٨٨٨م [لكنه يذكر في وثيقة الحديث عن نفسه إقامته في شيكاغو لمدة سنتين للدراسة !] وعند عودة الفرقة من مصر إلى سورية، عرج إلى إيطالية حيث مكث فيها شهراً ليتزوّد بالمعلومات والأدوات اللازمة لمهنة طب الأسنان، ولمّا عاد إلى دمشق علّمها إلى أولاده وأحفاده وأقربائه وغيرهم واتّخذ له عيادة في سوق الحرير، ثم كثر عدد من انتحل اسمه ولقبه فأضاف كلمة (الدرويش) إلى اسمه كعلامة مميّزة.

وتوفي يوم الجمعة السابع من ربيع الأول سنة ١٣٢٨ هـ/٢٠ آذار سنة ١٩١٠م ودفن بمقبرة الباب الصغير قرب ضريح الصحابي بلال الحبشي.

الهوامش

(١) **المولويّة** وعاميتها الميلويّة: طريقة مشهورة في التصوّف الإسلامي أسّسها الشاعر الصوفي مولانا جلال الدين الرومي (٦٠٤ – ٦٧٢هـ) في مدينة قونية بالأناضول فنُسبت إلى لقبه (مولانا) ودعيت بالمولوية، وهي تشتهر بحلقات الذكر التي تعتمد على دوران الدراويش على إيقاع الدفوف والمزاهر والرقوق، كنوع من رياضة روحية الغايةمنها تجريد الروح عن الجسد والتسامي بها إلى الذات الإلهية.

(٢) المقصود بها التيجان المعدنية المصنّعة من الفضّة أو النحاس أو ما شابه من الخلائط المعدنية.

(٣) **مدحت باشا**: من الولاة العثمانيين الذين خدموا دمشق خدمات كبيرة خلال فترة التنظيمات الخيرية العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تولى منصب الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) وأصدر الدستور العثماني في عام ١٢٩٣ هـ/١٨٧٦م، فلقّب بأبي الدستور وأبي الأحرار. تولى دمشق ١٢٩٥ هـ/١٨٧٨م، وترك بها بصمات عمرانية وأنشأ جمعيات أدبية وعلمية، ومن أشهر آثاره بها السوق المعروف باسمه (سوق مدحت باشا) الذي قام بتجديده.

(٤) **أبو خليل القبّاني**: أحمد بن محمد آغا آقبيق، أبو خليل المعروف بالقبّاني، ولد بدمشق عام ١٨٤١م، رائد المسرح التمثيلي والغنائي في الشام ومصر، وله اشتغال بالأدب والشعر والموسيقى، ألّف عدة موشحات ولحّنها وعدة روايات غنائية ومسرحيات قدّمها في كل من دمشق ومصر والآستانة وأميركا، توفي ١٩٠٢م.

(٥) **قهوة العصرونية**: ذكر نعمان القساطلي في كتابه (الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء): قهوة العصرونية وهي متسعة كبيرة موقعها برأس العصرونية، بنيت منذ أربع سنين [أي عام ١٨٧٤م].

(٦) الآستانة: لقب قديم لعاصمة السلطنة العثمانية (إستانبول)، والكلمة فارسية الأصل وتعني: العتبة والمقصود بها الأعتاب السلطانية أي مركز السلطنة. ومن الأسماء الأخرى التي كانت تطلق على المدينة: إسلامبول تحريفاً عن اسمها المذكور. أمّا أصل اسم المدينة فهو: بيزانتيوم (بيزنطة)، ثم أصبح: كونستانتينوبل (القسطنطينية) نسبة إلى الامبراطور البيزنطي قنسطنطين الأكبر.

(٧) **النشان الصناعي**: المقصود به الوسام الصناعي، والكلمة متداولة إلى اليوم (نيشان) وهي فارسية الأصل وتعني العلامة أو الوسام، واستعارتها اللغة العثمانية القديمة بمعنى الرماية، كما استعارتها العامة بمعنى آلية التسديد في الأسلحة النارية الفردية (الحدقة أو السدادة والشعيرة). أمّا المعرض الصناعي المذكور فهو معرض شيكاغو الشهير الذي كان يقام سنوياً، والذي شاركت به دمشق أكثر من مرة كان أشهرها في عام ١٩٠٠م.

(٨) **سوق الحرير**: أحد الأسواق الشهيرة في دمشق القديمة، ذكر المؤرخ الدمشقي يوسف بن عبد الهادي في أواخر العهد المملوكي بالقرن التاسع الهجري في رسالته (نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق): سوق الحرير عند باب الجامع الأموي القبلي ويباع فيه الحرير. وفي أواخر العهد العثماني ذكر القساطلي في (الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء): سوق الحرير وكان يقيم فيها باعة الحرير، وأمّا الآن ففيها عَمَلة الكنادر وباعة المانيفاتورة.

(٩) **حلمي**: هو ابن المترجم له محمد صالح بن عثمان بك موسى باشا الملقّب بالدرويش الأصلي.

(١٠) **سوق القيشاني**: من أسواق دمشق القديمة الشهيرة داخل جادة سوق الحرير إلى الجنوب من الجامع الأموي، سمي نسبة إلى حمّام القيشاني الذي شيّده الوالي العثماني درويش باشا خلال ولايته مابين ٩٧٩ هـ - ٩٨٢ هـ كما ذكر المؤرخ الدمشقي محمد بن جمعة المقّار في كتابه (الباشات والقضاة). وأصل التسمية نسبة إلى بلاط الخزف القاشاني (القيشاني) الذي كان يكسو جدران الحمّام كما ذكر عز الدين عربي كاتبي الصيّادي في كتابه (الروضة البهيّة في دمشق المحمية). وأصل تسمية القاشاني نسبة إلى مدينة (كاشان) في إيران التي اشتهرت بصناعة هذا النوع من الخزف، ولو أنه لم يكن يستورد منها إلى دمشق في العهد العثماني وإنما من مدينة (إزنيك) التركية التي اشتهرت بالخزف ذي اللون اللازوردي الغامق، ومن أشهر أمثلة هذا النوع بدمشق ما كسي به جامع السنانية ومئذنته.

(١١) كانت **شعبة طب الأسنان** فرعاً من معهد الطب العربي الذي أنشأه الوالي حسين باشا إبّان ولايته الأولى بدمشق بين عام ١٨٩٥ - ١٩٠٧م وأطلق على هذا المعهد آنذاك اسم "مدرسة الحياة" وكان يشغل قصر (زيوار باشا العظم) الواقع بين جادة عرنوس والطلياني، وفي موضعه اليوم مبنى مدرسة جول جمّال. وأمّا شعبة طب الأسنان فقد أضيفت إلى المعهد المذكور عام ١٩٢٢م بعد إعادة افتتاحه أيام الحكومة العربية عام ١٩١٩م، وكان موقعهما في التكية السليمانية بدمشق، ومن أوائل المدرّسين فيها الدكتور "ترابو" الفرنسي. وكانت الشهادة التي تُمنح فيه للخريج تُعرف بـــ(العليمية) أي أن حاملها عليم بطب الأسنان، ومع الزمن صار لقبه (الحكيم)، وبالتركية في العهد العثماني (دوقتور) أو (دِشْ طبيبي)، وفي العربية (طبيب أسنان).

(١٢) **ذو الخمار**: الاسم القديم لمحلّة وجادة كانت تقع عند شارع خالد بن الوليد اليوم، سمّيت بذلك نسبة إلى مقبرة الشيخ (ذي الخِمار) التي تواجدت في هذا الموضع.

(١٣) **النقرزان**: آلة موسيقية إيقاعية مكسوّة بالجلد تشبه الدفّ يُضرب عليها.

(١٤) **الرِقّ**: آلة موسيقية إيقاعية مكسوّة بالجلد تعرف أيضاً بالدفّ، وهي عبارة عن إطار مستدير (طارة) من الخشب يشدّ عليها جلد السمك أو الحيوان، وقد تزوّد بصنجات من النحاس أو لا تزوّد.

مصادر البحث

- الوثيقة المنشورة أعلاه.
- أعلام الأدب والفن: أدهم الجندي ٢٥٧/١ مطبعة مجلة صوت سوريا، دمشق ١٩٥٤
- موجز تاريخ الطب عند العرب: د. شوكت الشطّي، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٨، جامعة دمشق ١٩٥٩
- كتب طب الأسنان الجامعيّة المختلفة.
- دمشق تاريخ وصور: د. قتيبة الشهابي، ط٢، ١٣٧، مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٠
- الموسوعات المختلفة.

مجلة كل شيء والعالم المصرية ١٩٣٢

الدكتور رالف حكيم

جراح وحكيم اسنان متخرج من الجامعة الافرنسية

بميدان العتبة الخضراء بعمارة الاوقاف نمرة ٥

باعلا اجزاخانة مظلوم (أول دور على اليمين)

الدكتور رالف حكيم جراح وحكيم اسنان يعالج زبائنه الكرام بالاثمان الاتية : ـ

	ص
وضع دواء مسكن	٢
خلع الضرس بدون ألم	٥
تنظيف كامل	١٥
حشو ضرس أو سن	٢٠
ضرس أو سن عظم	١٥
طربوش ذهب عيار ٢٢ مضمون	٥٠
ضرس أو سن صب	٦٠
طقم كامل	٢٨٠

لوحة أسعار لطبيب أسنان مصري

زوروا عيادة طب الاسنان وجراحتها

للدكتور

درويشية — زقاق سيدي عامود

بعد الاتكال عليه تعالى قد نقلت عيادتي الكائنة في القيمرية الى شارع الدرويشية زقاق سيدي عامود تجاه صيدلية شهير افندي المهايني وقد جهزتها بأحدث الادوات الفنية المطبقة في جامعات اوربا لمعالجة جميع امراض الاسنان والفم

اختصاصنا في

١ — تداوي الاضراس والاسنان ومعالجة امراض الفم

٢ — خلع الاسنان والاضراس الغير صالحة للتداوي بواسطة البنج الموضعي والناحيوي بدون ادنى ألم

٣ — تداوي الاضراس القابلة للتصليح مع سحب عصبها بمدة اسبوع كامل

٤ — تركيب الاسنان والاضراس والجسوره الذهبية على الطرز الحديث ومكفولة من عطل على الدوام

٥ — البدلة الكاملة الكاوتشوك تقدم لصاحبها خالصة بعد مرور اربعة جلسات من تاريخ اخذ القياس بشرط ان ياكل عليها بدون ان يشعر بادنى ألم

٦ — تداوي الاضراس والاسنان المنخورة البسيطة وتنتهي في جلسة واحده

٧ — تداوي وتشفى اللثة المتقيحة بواسطة المعالجات الحديثة بمدة عشرة ايام

٨ — خلع الاسنان والاضراس المتقيحة لثتها واعادتها محلها بعد التعقيم الفني في جلسة واحدة مع التعهد فيما اذا لم يشف بمدة اربعين يوماً لحالته الطبيعية تعاد القيمة المتفق عليها

وبمناسبة الحاله الحاضرة والازمة الاقتصادية قد جعلت الاسعار في غاية المهاودة ولا تقبل المزاحمة قطعياً وكل من يزور عيادتنا يتحقق له قولنا في جميع ما ذكرناه

وخدمة للفقراء قد خصصت يومي الاحد والاربعاء لمعالجة الفقراء وخلع اضراسهم مجاناً .

إعلان لطبيب أسنان سوري بدمشق في بدايات القرن العشرين